ذكريات برائحة الورد

سحر محمد الجبارين

في كل صباح أتوق لتلك الرائحة التي كانت تملأ المكان، رائحة الخبز والشاي، رائحة الصيف، رائحة الشتاء، ذكريات تعود بي إلى الماضي، إلى مدرستي، ومعلماتي وكتبي وصفي، إلى شوقي لبدء يوم جديد والذهاب إلى المدرسة لأقطف وردة وأقدمها لمعلمتي المفضلة (رغدة) معلمة الرياضيات في الصف التاسع.

وزميلاتي اللواتي التقيهن في الطريق لنكمل المشوار معاً إلى المدرسة، وها أنا اليوم معلمة رياضيات تبتسم عيناي قبل شفاهي عندما تقدم لي إحدى طالباتي وردة، وأقول في نفسي هل لي التأثير نفسه على هذه الطالبة كما كان لمعلمتي تأثير علي، فقد كانت تبهرني في كل حصة، حيث لا يبقى في اللوح مكان لأي حرف، وملابسها أصبحت مليئة بغبار الطباشير الملونة، ويدق جرس الحصة دون أن تتوقف عن الشرح والكتابة على اللوح، أحاول أن أقلدها حتى في ضرب كفيها لإزالة غبار الطباشير عن يديها، وأتمنى أن يكون من بين طالباتي من هي معي في كل حركة، وأكون أنا إلهامها لتحديد هدفها وسعيها إلى الوصول إليه، وتعود بي الذكريات لزمن أبعد.

جانب من مشاركة المعلمة سحر الجبارين في أنشطة مع الطلاب.

جانب من مشاركة المعلمة سحر الجبارين في أنشطة مع الطلاب.

وأذكر مدرستي في المملكة العربية السعودية، ومعلمتي في الصف الأول الأساسي مس (نوى)، وفي الصف الثاني مس (نوف)، وفي الصف الثالث مس (دانة)، حيث كان أول وقوف لي في الطابور الصباحي لقراءة موضوع في الإذاعة المدرسية، كان صوتي يرتعش، ويداي بالكاد تمسك بالورقة، وكانت معلمتي تنظر إلي وتبتسم، فقد كنت قد حفظت الموضوع من كثر الاستعداد لقراءته، وكان لمعلمتي الدور الأكبر في كسر حاجز الخوف من الوقوف أمام المدرسة بأكملها وقراءة الموضوع، كما لا أنكر دور أبي المعلم الفاضل الذي زرع فينا حب المعلمين والتعليم، واحترام مهنة التعليم، وتقدير النظام والوقت، والالتزام بقوانين المدرسة، ووجوب احترام المعلمين وإجلالهم، وكذلك أمي التي كان لها الفضل الأكبر في متابعتنا ومتابعة دروسنا، وعلمتني كيف أدرس دون تأجيل عمل اليوم إلى الغد، ووجوب إنهاء الواجبات، والدراسة اليومية، حتى وصلت إلى المرحلة الثانوية.

وفي الصف الأول الثانوي العلمي، كانت علامتي في أول امتحان فيزياء يومي هي 5.5 من 10، وكان لذلك تأثير سلبي جداً على نفسيتي، واعتقدت أني لا استطيع المواصلة في الفرع العلمي، حتى كانت علامتي في امتحان الشهرين في المادة نفسها 20 من 20، وقام الأستاذ نظير الشلالدة بتكريمي أمام المدرسة بأكملها، وعادت ثقتي لي.

وبدأت أشق طريقي نحو الثانوية العامة، بجهد وإصرار كانت النتيجة أن سجلت في جامعة بيرزيت كلية الهندسة، وبعد مرور سنتين كانت حادثة استشهاد أخي الأصغر أسامة (رحمه الله) بتاريخ 2002/4/28، وقد حال اجتياح الضفة ووجود الحواجز على الطرق من وصولي إلى بلدتي سعير لحضور جنازة أخي، فقد وصلت بعد أن ووري جثمانه الطاهر الثرى، حيث كنت في بيرزيت، وقد أصبحت هذه الحادثة تاريخاً يفصل بين قبل وبعد.

وكان لهذه الأحداث تأثير سلبي على حياتي التعليمية، وقررت تغيير دراستي، وعندها تذكرت شغفي بمعلمتي رغدة، وحولت إلى كلية العلوم تخصص رياضيات، ووجدت نفسي في الزوايا والجذور والمعادلات.

ومرت الأيام، وتخرجت من الجامعة، وتزوجت، وأصبحت أماً، وكان اليوم الذي وردني فيه اتصال من مديرية التربية والتعليم في رام الله، حيث كان دوري في البدالة السنوية، وذهبت إلى المديرية لاستلام كتاب التكليف، وأثناء تواجدي هناك وصل كتاب التعيينات من الوزارة، وإذ باسمي على لائحة التعيينات، وكانت سعادتي لا توصف، حيث تم تعييني في مدرسة ذكور شقبا الثانوية، وأحسست أني لا أمشي على الأرض، إنما أنا محلقة في الهواء، واتصلت بوالدي الذي قابل فرحتي بالدموع، وبدأت مشواري المهني الذي يحمل رسالة سامية ومسؤولية كبيرة تحتاج إلى جهد وضمير وإنسانية عالية، ليتمكن المعلم من القيام بالتربية والتعليم في آن واحد، وغرس القيم الإنسانية والوطنية في نفوس طلابه وقلوبهم وعقولهم، وكذلك تزويدهم بالعلم النافع والواضح الذي سيساعدهم على بناء مستقبلهم ومستقبل دولتنا وأمتنا.

بعد سنتين، تم نقلي إلى مدرسة بنات قبيا الثانوية، حيث وجدت نفسي مع هيئة تدريسية وإدارية رائعة، وطالبات معظمهن يريد التعلم، ويعمل على الوصول إلى المعرفة، وأنا أعمل جاهدة على أن أكون المعلمة النافعة لهن علمياً وإنسانياً، وتتكرر المشاهد، طالبات في الزي المدرسي، يحتجن للعناية والتهذيب والمساعدة لتحديد أهدافهن، يقفن في الطابور الصباحي، ويقدمن الورود لمعلماتهن، ولربما تكون المعلمة طموح إحداهن، لتكمل المشوار وتعيد القصة من جديد.

مدرسة بنات قبيا الثانوية